ملخّص اسئلة وشيء من اجوبة - الحلقة ٣٠ / الشيخ الغزّي
-لماذا اختلف الخلق في الزمان والمكان؟ ج٣
- ما هي القواعد الصحيحة عقائدياً وشرعياً لتزويج ابنائنا ج١
الإثنين : ١٦/ربيع الأول/١٤٤٥هـ - الموافق ٢/١٠/٢٠٢٣م

لم يكتمل كلامي بخصوص جوابِ السؤال الَّذي وَردَني منَ النَّجف، حَيثُ حدَّثتكُم عن خارطة الخَلْق، إنَّها الخارطةُ الكُليّةُ، وهي خارطةٌ تكوينيّةٌ تَشريعيّةٌ متحركة، مرّ الكلامُ مُتسلسلاً ما بَينَ آيات وروايات وأمثلة لتقريب الفكرة، إلى أن وَصلتُ معكُم إلى الآيات من سورة المؤمنون والَّتي تَتناولُ خلْقةَ الإنسان، فالإنسانُ رُوحٌ وجَسد، الحديثُ عن الجسد هُنا، الآيةُ الثانيةُ بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من سورة المؤمنون وما بعدَها: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً** - عَمليّةٌ مُعقَّدةٌ، هُناكَ الكثيرُ والكثيرُ من الأجزاء - **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ** - هُنا دخلنا في معنى الإنسانيّة الَّتي تُميّزُ الإنسانَ عن غيره من المخلوقات، فما تقدَّمَ منَ الخُطوات كانَ برنامجاً جَسدياً حيوانياً، لَكنَّ الآيات حينَ وصلت إلى هُنا: "**ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ**"، هُنا بدأت الإنسانيّةُ تتحقَّقُ في هذا المخلوق..

في سورة الإنسان، الآية الثانية بعدَ البسملة والَّتي بعدَها: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ**﴾، "الأَمْشاجُ"؛ الأخلاط، ماءُ أصلابِ آبائنا أمشاجٌ، والأمرُ هُوَ هُوَ معَ أُمَّهاتنا، وما بَينَ آبائنا وأُمَّهاتنا فَإنَّ الأَمْشاج سَتتكَثَّرُ، فما عندَ الرَّجُل خُلاصَةٌ لكُلِّ تَكوينه الجسديّ، وما عندَ المرأة كذلك خُلاصةٌ لكُلِّ تَكوينها الجسديّ، إذا أردنا أن نَنظُرَ إلى الأحاديث الَّتي بَيّنت لنا الحكْمَةَ من تَشريع غُسْل الجَنابة للرجال وللنساء الرواياتُ تُخبرنا؛ لأنَّ الَّذي يَخرجُ منَ الإنسان في حال الجَنابة بِحسَبِ شُروطها الشَّرعيّة إنَّما هُوَ استخْلاصٌ من جَميع أَجزاءِ بَدنه، بَينما لا يَغتَسلُ الإنسان حينما يَخرجُ منهُ سائلُ البول، حينما تَخرجُ فَضلاتُ البطن، أمّا معَ الجَنابة فلابُدَّ من الاغتسال الكامل لجميع أجزاء البدن بِحسَبِ ما بيـ ـنَ في مَواطنه الشَّرعيّة، لأنَّ الَّذي خَرجَ من الإنسان خَرجَ من جَميع جَسده، هذه هي الأمشاج..

-﴿**من نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**﴾، انتقلنا إلى الرّوح، لأنَّ السَّمعَ والبَصرَ بالرّوح وليسَ بالجسد، وإنَّما يَتفعَّلُ الأمرُ عبرَ الجسد حينما تكونُ الطّاقةُ منَ الرّوح قد وَصلت إلى الجسد، لذا حينَ انفصال الرّوح عن الجسد فإنَّ الجسدَ لا يرى ولا يَسمع، السَّمعُ والبصر مُرتبطٌ بالرّوح كما هُوَ العقلُ كذلك كما هُوَ الوِجدانُ الَّذي هُوَ القَلبُ عندَ الإنسان - ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً**﴾، هُنا تَتجلَّى قُدرةُ الإدراك العَقليّ، وقُدرةُ الإدراك القَلبيّ، وما يُوفَّقُ إليه الإنسانُ من عَملِ خيرٍ أو ما يَأخُذهُ الخُذلانُ إلى عَملِ شَرٍّ يرتبطُ بهذه المَنظُومة المعقدَّة.

في سورة الشَّمس، الآية السابعة بعدَ البسملة وما بَعدَها: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾، هذا الفُجُورُ وهذه التَّقوى إنَّما تَرتبطُ بالإنسان بِحسَبِ اختياره لموقفه، لمنزلته، لمقامه من إمامه، في البداية هُوَ الَّذي يُشَخـصُ مَوقفهُ، وفي النـهاية لَيسَ الأمرُ بيده؛ ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ**﴾، الارتباطُ هُناكَ ارتباطٌ جَبريّ لا يَستَطيعُ الإنسانُ أن يَنفكَّ عنه..

في (الكافي الشريف)، الجزء الأوَّل، الصفحة التاسعة والتسعين بعدَ المئة، البابُ الَّذي عُنوانهُ "أنَّ الأرضَ لا تَخلُو من حُجَّة"، الحديثُ الثاني: **بِسنده** - بسند الكليني مؤلـف الكافي - **عَن إسحاقَ بنِ عَمَّار، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللَّه عَليه: إنَّ الأَرْضَ لَا تَخْلُو إلَّا وَفيهَا إمَام** - بغَضِّ النَّظرِ آمَنَّا به أو كَفَرنا به هذا أمرٌ لابُدَّ منه، الخَارطةُ الخَلْقيّةُ تقتضي ذلك، هذه خارطةٌ مُتحركةٌ، تتحركُ على عدَّة مستويات ومن أهمِّ مُستويات حَركتها الحركةُ السَّنويَّة والَّتي تبدأُ في لَيلَة القَدْر حَيثُ تبدأُ السَّنةُ الخَلقيّة، السَّنةُ التَّقديريّة، الإمامُ لابُدَّ أن يكونَ موجوداً ولذا فإنَّ الملائكة تَتنزَّلُ معَ أعظَمِ مَخلوقٍ في الملأ الأعلى؛ "إنَّهُ رُوحُ القُدُس الفَاطميّ"، يَتنزَّلُ معَ الملائكة - **كَيْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهُم** - هذا الكلامُ لَيسَ مُنحصراً في الجوانبِ الشرعيّة والعقائديّة، موجودٌ في هذه الجهة لكنَّ القَضيّة تَرتبطُ ارتباطاً تَكوينياً بخارطة الخَلْق، ولذا فإنَّ الأمرَ كُلَّهُ نازلٌ إليه في لَيلَة القَدْر وحَيثُ بدايةُ سنة التقدير الخَلْقيّ..

العنوانُ الأوَّلُ في الأجواء الدينيّة؛ "الإيمان"، ويَتجلَّى في مَجموعةٍ منَ النَّاس، وإلَّا فإنَّ الأمرَ هذا يجري على كُلِّ الكائنات - **وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُم** - الأمرَ لا يرتبطُ بالدين، الأمرَ يَرتبطُ بالتَّكوين والخَلْق.

في الصفحة نفسها، الباب الَّذي قبلَ هذا الباب، الحديثُ الرابع: **بِسنده** - بسند الكليني - **عَن أَبَان بنِ تَغلب، عَن إمَامنا الصَّادقِ صَلواتُ اللَّه عَليه: الحُجَّةُ قَبلَ الخَلْق وَمَعَ الخَلْق وَبَعْدَ الخَلْق** - الدينُ مرحلةٌ متأخـرة بِحسبِ القُرآن:

في سورة البقرة، الآية الثامنة والثلاثين بعدَ البسملة: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً** - هذا الأمرُ مُوجَّهٌ لأبينا آدَم وأمـنا حَوّاء ولعدُوهما إبليس - **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى** - هذا هُو الدين - **فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾، هُناكَ مجالٌ لأن يُصحـح إبليسُ مَسارهُ حتَّى بعدَ طَرده ولَعنه، والخطابُ مُوجَّهٌ لَهُم جميعاً، ولذا فإنَّ الَّذي جرى في عالَم الذَّر يُمكنُ أن يتغيَّر في عالَم الدُّنيا، فمرحلةُ الدُّنيا مرحلةٌ يستطيعُ الإنسانُ أن يُغيـر فيها المَسار، لكنَّ هذا يَحتاجُ إلى جُهد جَهيد، الأعمُّ الأغلب منَ النَّاس يَبقُونَ على حالهم..

آدمُ أيضاً مَطرود، حَوّاء مَطرودةٌ، وإبليسُ مَطرود، الجميعُ مَطرودون ولَكن كُلٌّ واحدٍ منهُم بِحسَبه، فآدمُ طُرِدَ من دُونِ لَعنة، وحَوّاءُ طُردت من دُونِ لَعنة، إبليسُ طُرِدَ معَ لَعنة، بإمكانه أن يُصحـح مَسارهُ لكنَّ أمرهُ سيكونُ أصعب، لأنَّهُ قد لُعِن، بَينما آدَمُ لم يُلعَن، حوّاءُ لم تُلعَن، ولذا تمكَّن آدمُ وحوّاءَ أن يُصحـحا مَسارهُما..

يقولُ إمامنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه عليه: (**الحُجَّةُ قَبْلَ الخَلْق** - قَبلَ الدين، فإنَّ الدينَ يأتي بعدَ الخَلْق - **وَمَعَ الخَلْقِ** - وفي هذه المرحلة أيضاً لا يُوجَد أثرٌ للدين - **وَبَعْدَ الخَلْقِ** - وإنَّما يُوجَدُ أثرٌ للدين في المرحلة الثانية، القضيّةُ تكوينيّةٌ، القَضيّةُ ترتبطُ بوجود هذا التكوين، وليست القضيّةُ شرعيّةً.

وحينما يقولُ إمامُنا الصَّادقُ: **إِنَّ الأَرْضَ لَا تَخْلُو إِلَّا وَفِيهَا إِمَام كَيْمَا إِنْ زَادَ الْمُؤْمِنُونَ شَيْئاً رَدَّهُم وَإِنْ نَقَصُوا شَيْئاً أَتَمَّهُ لَهُم** - وكأنَّ الكلامَ نَاظرٌ إلى الجانب التشريعي، إلى الجانب الدِّيني لأنَّ النَّاس تتحدَّثُ بِهذا المستوى، وإلَّا فإنَّ الحَديثَ يُشيرُ إلى الجهة الكَونيّة قَبلَ الجهة الشرعية..

في الزيارة الرجبيّة، من (مفاتيح الجنان)، نقرأ فيها ونَحنُ نُخاطبهُم في حَضراتهم المقدَّسة: **أَنَا سَائِلُكُم وَآمِلُكُم فِيمَا إِلَيْكُم التَّفْوِيض وَعَلَيْكُم التَّعْوِيض فَبِكُم يُجْبَرُ الْمَهِيض** - التَّفويضُ هو ما يجري من حركة في خَارطة الخَلْق، (وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُم)، قانونُ الوَلاية ومن تَجلِّيات هذا القانون قانونُ الإياب والحساب: (إِيَابُ الخَلْقِ إِلَيْكُم وَحِسَابُهُم عَلَيْكُم)، وهُنا يأتي قانون البداء: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾، أُمُّ الكتاب الحقيقةُ المُحمَّديَّة، وعبرَ هذه الحقيقة تتجلَّى إرادةُ اللّه في خَارطة الخَلْق، إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه يقول: (أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَجْرِيَ الأُمُورُ بِأَسْبَابِها)، وهذه الأسبابُ هي وسائطُ الفَيْض، الوَاسطةُ العُظمى فيما بَينَ الخَلْقِ وبَينَ اللّه الحقيقةُ المُحمَّديَّة، والحقيقةُ المُحمَّديَّةُ فيما بَينَها وبينَ الخلائق؛ "وَسائطُ الفَيض"، هذا هُو التفويض.

أمّا التَّعويض؛ التَّعويضُ قد يكونُ في الدُّنيا لَكنَّ التَّعويضَ يتجلَّى بأعظَمِ صُوَرِه في الآخرة، فَما طَرأ في التَّقديرِ في خَارِطَة الخَلْق من نَقص لا لعجزٍ في القُدرة على الخَلْق لَكنَّ خَارِطة الخَلْق هي مَجموعةٌ من العلائقِ والارتباطات والإضافات، وهذه العلائقُ والارتباطاتُ والإضافاتُ يُؤثـر بَعضُها على البعض الآخر، هُناكَ أولويّاتٌ، في سياق الأولويّات قد يكونُ هُناكَ ألمٌ، قد يكونُ هُناكَ نَقصٌ لهذا المخلوق أو ذاك، يُعوَّضُ في الآخرة هُناكَ التَّعويض، هُناكَ التَّعويضُ لأنَّ عَالَم الآخرة مساحةٌ تأثيرِ العلائقِ والارتباطات والإضافات تكونُ ضيـقةً، هُناكَ ساحةٌ مفتوحةٌ ومَجالٌ بَعيدٌ عن قُيود تلكَ الارتباطات، عالمُ الآخرة عالَمٌ لَهُ قوانينهُ الَّتي تَختلفُ اختلافاً كبيراً عن عالَمنا الضَيـقِ هذا، عالَمُ الآخرة عالَمٌ مَحكُومٌ بالمنطق النُّوري الحساباتُ مختلفةٌ، ولذا ما يكونُ من ألمٍ وما يكونُ من نقص فيما يكونُ عليه المخلوق من البَشرِ أو غَيرِ البشر لكنَّ اهتمامنا في الحديث بِخُصوص البشر، فما يطرأ عليه لأيِّ سَببٍ من الأسباب، أو لأيَّة أولويَّة من الأولويّات في نظامِ خَارِطَة الخَلْق، إذا لم يَكُن الأمر بِسببِ مَعصيته في الدُّنيا، أو بِسببِ اختياراته الخاطئة في عالَم الذَّر، فإنَّهُ سيُعَوَّضُ عن كُلِّ نَقص، من هُنَا نقرأ في الرِّوايات من أنَّ الدُّعاء قد يكونُ المؤمنُ مُستَحقَّاً لأن يُستجابَ دُعاؤه، لكنَّ أُموراً في التَّقديرِ تَحولُ فيما بينَ المؤمنِ وبَينَ أن يُستجابَ دُعاؤه، يُدَّخَرُ لَهُ في الآخرة، فَعدمُ الاستجابة ألحقَ أذىً به، هذا الأذى مَعَ أنَّهُ مُستَحقٌّ للاستجابة سيُعوَّضُ عن هذا في الآخرة، ويُعوَّضُ تعويضاً هائلاً، الزيارةُ تتحدَّثُ عن هذه الحقائق وهذا موضوعٌ كَبيرٌ مُضطرد، إنَّها كَلماتُ أئمَّتنا حينما قالوا لنا لو أنَّنا عَرفنا خَارِطة الخَلْق لَمَا لَامَ أَحدٌ أحداً، فَخارِطةُ الخَلْقِ تمتدُّ من عَالَمنا إلى عالَم الآخرة.

هذا المهيضُ اللَّفظةُ في أصلها تُقالُ لِلطير الَّذي يُكسرُ جناحهُ ولا يستطيعُ أن يَطير يُقالُ لَه طائرٌ مَهيض، هذا الإنسانُ الَّذي تَعرَّضَ لطارئٍ من الطوارئ إمَّا في أيَّامه الَّتي يعيشها وإمَّا قد وُلِدَ بهذا الطارئ الَّذي طَرأ عليه، الجَبْرُ للمَهيض قد يكونُ جَبراً مُؤقَّتاً دُنيوياً، ولكنَّ الجَبر التعويضي الحقيقي يَكونُ في الآخرة.

- **ويُشْفَى الْمَرِيض** - هذه أوجاعٌ وآلامٌ - **وَمَا تَزْدَادُ الأَرْحَامُ وَمَا تَغِيض** - إنَّها الوَرقةُ السَّاقطةُ والحبَّةُ النَّامية، ومن أنَّ الورقة السَّاقطة الجنينُ السـقْط، وفي الرِّوايات سيأتي الجنينُ السَـقط إذا كانَ سقْطاً مُكتملاً، سيأتي ولَهُ شَفاعةٌ، هكذا تقولُ الروايةُ من أنَّ الجنينَ السـقط يأتي ويقفُ مُحَنْطِئاً، مُحَنْطِئاً إنَّهُ يقفُ بِكُلِّ جُرأة وبِكُلِّ ثقة كي يَشفَعَ في أبويه، هذا كُلُّهُ بِحسَبِ القانونِ المتقدم الذكر..

فما يَجري على الإنسانِ من ألمٍ في هذه الدُّنيا لن يَذهَبَ هَدْراً إذا كانَ قد جرى على الإنسانِ بِسببِ القَوانين المتحركةِ في خَارِطة الخَلْق، بِسببِ العلائقِ والارتباطات بَينَ مُكوناتِ خارِطَة الخَلْق، لا أن يكونَ بِسببٍ من عنده.

في الآية الثانية والسبعين بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة الأعراف: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بَنِي آدَمَ من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا**﴾، هذا جَرى علَينا، قد يقولُ قائلٌ ما نفعهُ إذا لم نَتذكَّرهُ في هذه الحياة؟ نَحنُ لا نَتذكَّرهُ لمنفعةٍ لنا، مثلما سُبحانهُ وتعالَى رزقنا القُدرة على النـسيان، ولَولا النـسيانُ ما استطعنا أن نعيش..

قُدِّرَ للإنسان أن يَكُونَ ابناً لهذه الأسرة لماذا؟ لأنَّهُ قد انتقى واختارَ مُستوىً من مستويات الارتباط بِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد في عالَم الذَّر، فَإنَّهُ وفقاً لهذا المستوى لن يستطيعَ أن يُحقـقَ أهدافهُ مَعَ هذا المستوى إلَّا أن يَكُونَ في هذه الأسرة، قَد تكونُ غنيَّةً، قد تكونُ فَقيرةً، قد تكونُ، وقد تكون، وهي كانت غنيَّةً لارتباطات سابقة "قانونُ الأصلاب"، أو كانت فقيرةً بسببِ اختيارها لموقفها العَقائديِّ من مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وحينما يُولَدُ هذا المولُودُ في هذه الأسرة فلابُدَّ أن يَكُونَ في زمانٍ مناسبٍ لجيلٍ من الأجيال، لأُمَّة من الأمم، فإذا لم تَكُن هذه المناسبةُ فإنَّهُ سيُولَدُ من أسرة أخرى، ولذا فإنَّ الانتسابَ الأصليَّ في الأُبُوَّة هُو انتسابٌ لِمُحَمَّد وآل مُحَمَّد صلواتُ اللَّه عليهم؛ (شيعَتُنَا خُلقُوا من فَاضِلِ طِينَتِنَا)، هذا هو التَّكوينُ الأبويُّ الأصلي..

هُناكَ الطـينةُ العلـينيّة وهُناكَ الطـينةُ السـجينية، الرِّواياتُ حدَّثتنا عن ذلك فَهُناكَ من يُخْلَقُ من طِينةٍ علـينيّة، وهُناكَ من يُخلَقُ من طِينةٍ سِجينيّة، وهُناكَ من يُخلَقُ من طينة مَمزوجة ما بَينَ العلـيني والسـجيني..

أعودُ إلى كلامي وأنا أُجيبُ على سُؤال السَّائلِ إذا سأل: إذا نَسينا فما الفائدةُ من هذا؟ نَحنُ نَسينا لأنَّ النـسيانَ فيه مَنفعتُنا، لكنَّ النـسيانَ لا يُلغي الآثارَ التكوينية..

هذا الَّذي سألَ الإمامَ الصَّادقَ عن اللّه سُبحانَهُ وتَعالى يُريدُ أن يَتحسَّسَ اللّه يُريدُ أن يَعرِفَ اللّه العباراتُ قاصرةٌ، الإمامُ الصَّادقُ سَألهُ: هَل رَكِبتَ البحر، وهَل اضطرمت واضطربت بِكُم الأمواج ولم تَجدوا مَلاذاً تَلجؤونَ إليه إلَّا إلى القُوَّة الَّتي تُنجيكُم؟! ذَلكَ هُوَ اللّه، حينما تضطرمُ الأُمور وتَضطربُ الأحداث هذا الإنسانُ الضَّعيفُ الَّذي لا يَعرِفُ اللّه هُناكَ شَيءٌ في أعماقه سيظهرُ إلى الأعلى، لأنَّ كُلَّ شيء قَد تلاشى، الدُّنيا طَمرت الفطرة، فَحينما تتلاشى الدُّنيا ولا يَبقى شيءٌ منها حينئذ ستُطلُّ الفطرةُ بِصفائها، حينئذ ستَنطقُ الفطرة مثلما نطقت على لسانِ فرعَون الَّذي كانَ يُعْبَدُ من دُونِ اللّه لَمَّا وصلَ إلى اللَّحظة الأخيرة من الهلاكِ نطقَ بالحَقيقة، نَطقَت الفطرةُ، حينما تتلاشى الدُّنيا ستَنطقُ الفطرة بِرَغمِ أنْفِ المخلوق، نحنُ كذلكَ فطرتُنا ناطقةٌ، صحيحٌ لا نستشعرُ بِها لَكنَّها تُحرِّكُنا تُوجـهُنا في كَثير من الأحيان مثلما هو الحالُ في طبقة اللاشعور عِندَنا هي الَّتي تُحركنا في مساحة واسعة من حياتنا اليوميّة..

- **قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ**﴾، هُناكَ غَفلَةٌ ظَاهريَّةٌ لمَصلحتكم، ولكنَّ آثارَ الفطرة، وآثارَ الذَّاكرة الخَفيّة كانت تَعملُ في الخفاء، وحينما تخرجُ الرُّوحُ من البدن تتحسَّسُ هذه الحقائق، تتذكَّرُ الرُّوحُ من أنَّ الذَّاكرة الخفيّة كانت تعملُ وكانت تعمل فَلَم يَكُن الأمرُ جُزافياً، ولذا يأتي الخطابُ يومَ القيامة من أنَّكم كُنتُم عَالمين وكُنتُم عَارِفين وإنَّما جَرى كُلُّ الَّذي جَرى كي لا تَقولُوا يومَ القِيامة من أنَّنا ما كُنَّا على علمٍ بهذا..

في زِيارة النَّدْبة والَّتي تُعرفُ أيضاً بزيارة آل ياسين غير المشهورة هـكذا تُعرف في كُتُب المزارات؛

في الجزء التاسع والتسعين من (بحار الأنوار) للمجلسي، طبعةُ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان/ وهي من التوقيعات جاء فيها: **وَمِنْ تَقْدِيره** - هذا التَّقدير تقدير في الخارطة الخَلقية الَّتي نتحدَّثُ عنها - **مَنَائِحُ العَطَاء بِكُم** - المنائحُ أو المنايحُ جَمعٌ لمنْحة، وهي العَطيَّةُ السَّهلَةُ المُريحةُ الحَسنَةُ الجَميلة - **إِنْفَادُهُ مَحْتُوماً مَقْرُوناً فَمَا شَيْءٌ مِنَّا إِلَّا وَأَنْتُم لَهُ السَّبَب وَإِلَيْه السَّبِيل** - الكلامُ عنَّا لأنَّنا في مقامِ زيارَة، وإلَّا فهذا الكلامُ يكونُ بِخُصوص كُلِّ الخَلْق، (وَذَلَّ كُلُّ شَيْء لَكُم)..

المَضمونُ هُوَ هُوَ في الآية الثانية بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من سورة يس: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ** - هذه مَصاديق وأمثلة، الحقيقةُ النـهائيةُ في آخر الآية: **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾، هذه الآيةُ هي الآيةُ الحاكمةُ آيَةُ الوَلاية، (وَذَلَّ كُلُّ شَيْء لَكُم)، القانونُ الأوَّلُ هُو قانونُ الوَلاية، والخارطةُ مُتحركةٌ، هُناكَ أجزاء حَركتُها بَطيئةٌ، وهُناكَ أجزاء ثابتةٌ، وهُناكَ أجزاء تتحرَّكُ حركةً سريعةً، وهُناكَ تَتَقَلَّلُ في الأطوار، لأنَّنا بصريح القُرآن خُلقْنا أطوارا، الأطوارُ هذه هي انعكاساتٌ تَجليّاتٌ، هي النَّتائجُ الأخيرةُ من خلال حركة مُفردات خَارِطة الخَلْق وما بَينَها من الرَّوابط والعلائقِ والإضافات، الزَّوجةُ تُضافُ إلى زَوجِها، والزَّوج يُضافُ إلى زوجته، ومن بَينِهما يأتي الابنُ وتأتي البِنتُ، فالابنُ مُضافٌ إلى أبيه، مُضافٌ إلى أُمـه ويُضافُ إلى أُخته، والأُختُ تُضافُ إلى أخيها وهكذا، هذه العلائقُ هي الَّتي تَحكُمُ الخَارِطة المُتحركة، وهذه النُّطفةُ جاءت من الطعام الفُلاني، وهذا الطَّعامُ الفُلاني قد يكونُ نَباتياً بِنحوٍ مُباشر، وقد يكونُ نَباتياً انتقلَ إلى حيوانٍ فيكونُ الطعامُ حَيوانياً، ولَكن في أصله نَباتيٌّ، وهذا الحيوانُ تمَّ تَكوينهُ من بَينِ أبٍ وأم وهكذا ترتبطُ الأمور، فَتعودُ إلى الأشجارِ الَّتي ترتبطُ بالهواءِ والماءِ والشَّمسِ والتُّرابِ إلى بَقيَّة المفرداتِ الَّتي لَها أوَّلٌ وليسَ لها آخر.

المؤثـراتُ الَّتي تُؤثـرُ فينا لا يُمكنُ أن تُحصَر إذا وَجَّهنا أنظارنا إلى الروايات والأحاديث فإنَّنا نَجِدُ أنَّ الهواء يُؤثـرُ في وجُودِنا قَبلَ أن نُولد يُؤثـرَ في أسلافنا، ويُؤثـرُ قبلَ أن تَتكونَ النُّطفةُ عندَ أسلافنا..

والأمرُ يتجاوزُ هذا المعنى إذا ما وصلنا إلى مَنطقة عالَم الأرواح، فَعالَمُ الأرواح جُزءٌ من هذه الخارطة، خارطةٌ هائلةٌ عظيمةٌ، أميرُ المؤمنين صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليه في كَلمة من كلماته المعروفة: (لا تَقسروا أولادَكُم على آدابِكم - لماذا يا أميرَ المؤمنين؟ - فَإنَّهم مَخلُوقُونَ لِزمانٍ غَيرِ زَمانِكم)، مَخلُوقونَ، الزَّمانُ الَّذي يُقدَّرُ لنا أن نَكونَ فيه لَهُ تأثيرٌ عَلينا، فإنَّهم مَخلُوقونَ لزمانٍ غيرِ زمانكم.

الزَّمانُ لَهُ تأثيرٌ، المَكانُ لَهُ تأثيرٌ، فما نَحنُ عليه لسنا الَّذينَ كَوَّناهُ، نَحنُ كَوَّنا جُزءاً، نَحنُ كَوَّنا النَّواة، ما هُو مَوقفُنا من مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد في عالمِ الذَّر؟! وفقاً لذلكَ الموقف، وذلكَ الموقفُ أخذناه بِحُريَّة، وفقاً لذلك الموقف تَرتَّبت سائرُ التفاصيل، تَرتَّبَ الزَّمانُ، تَرتَّبَ المَكانُ، بِسببِ ذَلكَ الموقفَ لنا جَزاءَ أن نُوَفَّقَ لعملٍ صالحٍ، هذا هو قانونُ التوفيقِ والخُذلان، هذا العَملُ الصَّالحُ الَّذي يُمكننا أن نُنجزهُ لا نستطيعُ أن نُنجزهُ إلَّا في الزَّمنِ الفلاني، سَنُوجَدُ إذاً في الزَّمنِ الفلاني، فِي هذا الزَّمنِ العائلةُ الَّتي تُناسبنا هي العائلةُ الفقيرةُ، لأنَّنا لو وُلدنا من عائلة غَنيّة لَن نُوفَّقَ إلى العمل الَّذي يكونُ جزاءَ لاختيارنا الموفَّق، والأمرُ هُوَ هُوَ مع الاختيار السيء، بإمكاننا أن نُغيـر هذا في العالمِ الدُّنيوي؟ الدُّنيا فُرصةٌ لتغيير هذا، ولكنَّهُ يحتاجُ إلى بَذلِ جُهد جَهيد، أن نُغَيـرَ الموقفَ الَّذي كُنَّا عليه في عالمِ الذَّر، في عالَم الأرواح، هُناكَ مساحةٌ للتغيير، الرواياتُ عندَنا، الرواياتُ عندَنا والأحاديثُ عندَنا والأدعيةُ عندَنا في دين العترة الطاهرة؛ التغييرُ يُمكنُ أنَ يحصَلَ حتَّى بعدَ الموت، التغيـيرُ يُمكنُ أن يحصَلَ إلى آخرِ لَحظَةٍ قبلَ دُخولِ الجَنانِ والنـيران، هَذا في دِينِ العترَةِ الطاهرة لا شأنَ لي بِدينِ سقيفةِ بنيِ ساعدة، ولا شأنَ لِي بِدينِ سقيفةِ بني طوسي..

هذه رحمةٌ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، وفي الوقت نَفسه المصيرُ الأسودُ والأسودُ جداً الَّذي يَختارهُ الإنسانُ بِنفسهِ فَهُو الَّذي يَجني على نفسه، أعتقدُ أنَّ الصُورة إن لم تَكُن قد صارت واضحةً جِداً فهي واضحةٌ إلى حدٍّ بَعيد..

الرسالة من العراق سأقرؤها إلى الحدِّ الَّذي يرتبطُ بسؤالِ الرسالة: ما هي القواعدُ الصَّحيحةُ عقائدياً وشرعياً الَّتي يَجبُ على الآباء اتـباعُها في تزويج أبنائهم ليكونَ هذا التَّزويجُ صحيحاً، لاحظتُ في أحاديث أهل البيت الأطهار أرواحنا فداهُم صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليهم أجمعين أنَّهم كانوا يُوجـهونَ الأشياع باتـجاه اتـخاذ النُّوبيّات زوجات لَهُم - النَّوبيّات منَ النُّوبَة - بأنَّهم قومٌ كانوا نَصارى ولَهُم عَهدٌ مع اللَّه تعالى ولَيسوا من عَبدَة الأصنام – النَّوبيـونَ في زماننا بعضٌ منهُم في مصر في جنوبِ مصر، وبعضٌ منهُم في السودان، وبعضٌ منهُم في الصومال في هذه المناطق - في حين أنَّهم نَهوهُم عَن نصرانيات العراق بل جعلوهُ شبهَ مُستحيل لأنَّهم لن يستطيعوا مَنعَهُنَّ من شُربِ الخمر وأكل لَحم الخنزير، ولاحظتُ أنَّ أئمَّتنا الأطهار أرواحُنا فدَاهم صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليهم أجمعين لَم يتزوَّجوا من العراق وليس لأيٍّ منهُم أيٌّ أمٌّ عراقيَّة وإنَّ كُلَّ أُمَّهاتهم جِئنَ بِشكلٍ أو بآخر من ذلكَ الجانب الآخر من البحر الأحمر، بل وإنَّ الأمرَ يرجعُ إلى زمنِ أمـنا هاجر سلامُ اللَّه عليها، بل وأكثر من ذلك حتَّى أنَّ شاهزنان - الَّتي هي أُمٌّ إمامنا السجَّاد - حتَّى أنّ شاهزنان سلامُ اللَّهُ عليها لم تَكُن فَارسيَّةً من عرقِ نساء فارس بل هي الأُخرى كانت من عرق نساء المصريّين من زَمانِ غزو البابليـينَ لمصر، فما هي القصَّةُ ولماذا؟

هذا هُو سؤالُ السائلِ مجموعةٌ من المعلومات إذا أردتُ أن أُناقشها بالتفصيلِ سأحتاجُ إلى العديدِ من الحلقات لكنَّني سأختصرُ الجوابَ بِقدرِ ما أستطيع، وسأبدأ بالتسلسلِ بِحسبِ ما ذكرت الرسالةُ من كلام:

ما هي القواعدُ الصَّحيحةُ عقائدياً وشرعياً الَّتي يجبُ على الآباء اتـباعُها في تزويج أبنائهم ليكونَ هذا التَّزويجُ صحيحاً؟

من الآخر ومن دُونِ تطويل؛ أمرُ الزَّواج وشؤونُ الزَّواج تَختلفُ باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص والظروف الموضوعيَّة، ومنها الحالةُ الاقتصاديَّةُ للمجتمع عُموماً، والحالةُ الاقتصاديَّةُ للَّذينَ يُريدونَ الزَّواج، لَيس هُناكَ من قواعدَ ثابتة، الأمورُ تختلفُ من زَمنٍ إلى زمن، الَّذينَ يَعيشونَ من المؤمنينَ في البلاد الغَربيَّة أولادُهم بَناتُهم يُحكَمُونَ بثقافة تخ تلفُ عن ثقافة بُلدانهم، فَشأنُ الزَّواج هُنا يَختلفُ عن شأنَ الزَّواج في بُلدانهم الأصليَّة، والأمرُ هُوَ هُوَ حينما تَزوَّج آباؤنا كانت الأوضاعُ مُختلفةً عن الزَّمان الَّذي تَزوَّجنا نحنُ فيه، وهكذا تجري الأمور لكن من الآخر هُناكَ أمرانِ مُهمَّان مطلُوبان في الزَّوج أو في الزَّوجة؛ هُو المنظر الَّذي يَكونُ مُؤْنساً، لا أتحدَّثُ عن الجَمال فإنَّ الجَمالَ أمرٌ نسبيٌّ والكلامُ يَطولُ فيه وإنَّما أتحدَّثُ عن حُسنِ المنظر للرَّجُل أو للمرأة..

والأمر الثاني: الدين، نَحنُ نتحدَّثُ في أجوائنا الدينية، غير المتديـنين قد يجدونَ الدينَ عَيباً في الرَّجُل أو في المرأة على حدٍّ سواء، هذان الأمران هُما الأمران الرَّئيسان، بقيَّةُ الأمور تتغيَّرُ لا توجدُ قاعدةٌ ثابتةٌ..

وإذا أردنا أن نعودَ إلى أحاديث العترة الطاهرة المرادُ من الدينِ مَعرِفَةُ إمامِ زماننا، لكنَّ هذا قد لا يَتوفَّر، فحينما أقولُ الدين بالمعنى الإجمالي، إلَّا أنَّ الأمرَ الَّذي يُفترضُ أن يُمثـلَ جوهر الدين مَعرفةُ إمامِ زَماننا صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليه؛ (فَمَن مَاتَ وَلَم يَعرِف إمامَ زَمانه مَاتَ ميْتةً جَاهليّة)، أو على الأقل أن يَكُونَ هُناكَ استعدادٌ عندَ الرَّجُل أو عندَ المرأة أن يبحثوا عَن مَعرفة إمامِ زَمانهم، أن يكونوا مُهتمـينَ بِهذا الشأن وهذا هُو التوفيق، بقيَّةُ الأمور تكونُ رَهينةً بالزَّمانِ والمكان والثَّقافة العامَّة والشأن الأسري، وأمورٌ يَتمُّ التفاهُمُ عليها فيما بَينَهُم..

هُناكَ أمر مُستحَب قد لا يجدهُ البعضُ مُهِمّاً لكنَّ تجاربَ الحياة تُقرِّرُ أهميّتهُ؛ أن يَكُونَ سنُّ الزَّوجة أصغرَ من سنِّ الزَّوج، والمستحبُّ في روايات العترة الطاهرة أن يَكونَ الفَارقُ بين الزَّوج والزَّوجة خمس سنوات، هذا أمرٌ مَندوبٌ لكنَّ واقعَ الحياة يُقرِّرُ أحقِّيَّة هذا الأمر وَضَرورتهُ، ليس واجباً إنَّهُ أمر مَندوبٌ مُستحب، وليس بالضرورة أن نلتزمَ بِهذا المقدارِ من السنين، قد يكونُ أقلَّ من ذلك قد يكونُ أكثرَ من ذلكَ بقليل هذا أمرٌ راجعٌ للمُوافَقات فيما بينَ الرَّجلِ والمرأة فالشأنُ شَأنُهما.

ثُمّ تقولُ الرسالةُ: **من أنَّ الأئمَّة كانوا يُوجـهونَ الأشياع باتـجاه اتـخاذ النُّوبيّات زوجات لهم بأنَّهم قومٌ كانوا نَصارى ولَهُم عهدٌ معَ اللَّه تعالى وليسوا من عَبدَة الأصنام؟!**

هذا الأمر لا يُمثـلُ قاعدةً عامَّةً كما بَيَّنتُ قبلَ قليل؛ من أنَّ أمورَ الزَّواج ترتبطُ بالزَّمانِ والمكان والحالة الاقتصاديَّة والظروف الموضوعيَّة والثقافة العامَّة والشؤون الأسريَّة لأسرة الزَّوج ولأسرة الزَّوجة ولأمورٍ كثيرة أُخرى تتبدَّلُ وتتغيَّرُ حينما يتغيَّرُ الزَّمان وحينما يَتغيَّرُ المكان وحينما يتغيَّرُ أبناء الزَّمان.

في حينِ أنَّهم نَهوهُم عَن نَصرانيّات العراق، بل جعلوهُ شبهَ مُستحيل لأنَّهم لن يَستطيعوا مَنعهنَّ من شُربِ الخمر وأكلِ لَحمِ الخنزير؟!

هذه أمورٌ طارئةٌ لو تَغيَّرَ النَّاسُ بِنحوٍ آخر فإنَّ التوصياتِ ستتغيَّر، هذه ما هي بقواعد ثابتة، لابُدَّ أن نَعرِفَ أنَّ أمرَ الزَّواج أمرٌ مجتمعيّ، الأمورُ المجتمعيَّةُ كانَ الأئمَّةُ ينظرونَ إليها وفقاً لأساسين:

- **الأساسُ الأوَّل:** ما هُو الممكن ما هو المتوفـر.
- **والأساسُ الثاني وهو الأهمّ في نظر الأئمَّة:** الجانبُ الأمني، لأنَّ الأئمَّة معَ أشياعِهم كانوا مُحاصرينَ حصاراً لا مَثيلَ لَهُ في التأريخ.

فكانَ الأئمَّةُ يرسمونَ برنامجاً لأنفُسهِم ولِشيعَتِهم أن تَكُونَ الحركةُ المجتمعيَّةُ ضِمنَ ما هو مُمكِنٌ، مع مُلاحظةِ الجانب الأمني والَّذي كانَ يُلامِسُ حياة المعصومِ نَفسه صلَواتُ اللَّه عليه..

فكثيرٌ من التوصيَات وكثيرٌ من الأمورِ قد تَكُونُ دِينيّةً لكنَّ في كواليسها هُناكَ الضائقةُ الماليّةُ، والضائقةُ الاجتماعيّةُ الَّتي كانت تُحيطُ بالواقع الشيعي آنذاك، فَضلاً عَن الخُطورة الأمنيّة.

أمّا أنَّ نصرانيات العراق يشربنَ الخمر يَأكُلن لَحم الخنزير ؟ فهذا أمرٌ جائزٌ في دين النصارى، ويُمكِنُ أنَّ الإنسانَ يجدُ في نصرانيّات العراق - أتحدَّثُ عن ذلكَ الزمان - يُمكنهُ أن يَجِد امرأةً تُراعي أوضاعَ زَوجِها الد ينيّة ولا ينطبقُ عليها هذا الوصف، هذه أمورٌ ترتبطُ بالواقع الزَّمانيّ والمكاني.

ولاحظتُ أنَّ أئمّتنا الأطهار أرواحنا فِدَاهُم لم يَتزوَّجوا مِن العِراق وليسَ لأيٍ مِنهُم أيٌّ أُمٌ عِراقيَّة وإنَّ كُلَّ أُمَّهاتهم جِئنَ بشكلٍ أو بآخر مِن ذَلِكَ الجانب الآخر من البحر الأحمر، أي من أفريقيا؟

الكلامُ لَيس دَقيقاً، المعصومونَ أربعةَ عشر؛

سَبعةٌ منهُم أُمَّهاتُهم عَربيَّة؛ رَسُولُ اللّه أُمُّهُ عربيَّةٌ، أمير المؤمنين أُمُّهُ عربيَّةٌ، فَاطمَةُ الزَّهراء أُمُّها عربيَّةٌ، الحَسَنُ أُمُّهُ عربيَّةٌ، الحُسَينُ أُمَّهُ عربيَّةٌ، إمامُنا البَاقِرُ أُمُّهُ عربيَّةٌ، إمامُنا الصَّادقُ أُمُّهُ عربيَّةٌ، سبعةٌ من المعصومين أُمَّهاتُهم عربيَّةٌ من الحجاز من الجزيرة العربية.

سَبعةٌ من المعصومين أُمَّهاتُهم ليست عَربيَّةً؛

إمامُنا السجَّادُ أُمُّهُ فارسيَّةٌ، الكلامُ عن أُمِّ إمامنا السجَّاد في كُتُب التأريخ عندَ الإيرانيين أو عندَ مُؤرخي السُنَّة أو عندَ غَيرهما كلامٌ كثير لا أُبالي بِكُلِّ تلكَ الأقوال، ما موجودٌ في رواياتنا وفي الكافي الشريف في الجزء الأوّل، ما موجودٌ في رواياتنا؛ "فإنَّ أُمَّ إمامنا السجّاد فَارسيَّةٌ أَصيلةٌ هيَ إحدى بناتِ يزدجرد إنَّهُ مَلِكُ الفُرس مَلِكُ الساسانيين"..

- إمامُنا الكاظم أُمُّهُ بربريَّةٌ من الأمازيغ.
- إمامُنا الرضا على المشهور أُمُّهُ نُوبيَّةٌ من النُّوبَة.
- وإمامُنا الجوادُ أُمُّهُ قبطيَّةٌ مصريَّةٌ.
- وإمامُنا الهادي أُمُّهُ مَغربيَّةٌ منَ المغرب.
- وإمامُنا الحَسَنُ العسكري ليس واضحاً في الر وايات عِندَنا من أينَ جاءت إلَّا أنَّها جَاريةٌ، والأمرُ أمنيٌّ لِسببٍ أمني، بعضُ القرائنِ قد تُشيرُ إلى أنَّها من بِلادِ شمال أفريقيا.
- أُمُّ إمامِ زَماننا في الأصل رُوميَّةٌ إيطاليَّةٌ لكنَّها وُلدت وعاشت ونشأت في تركيا، وبعدَ ذلكَ انتقلت إلى العراق.

إمامُنا الكاظمُ وإمامُنا الر ضا، وإمامُنا الجوادُ وإمامُنا الهادي أُمَّهاتُهم من وَراء البحر الأحمر مثلما تقولُ الرسالة، ويُمكنُ أن تَلتحقَ أُمُّ إمامنا الحسن العسكريّ بهنَّ بأُمَّهات الأئمَّة اللاتي جِئنَ من وَراء البحر الأحمر، هذه القَضيَّةُ فيها بُعدٌ أمنيٌّ وفيها بُعدٌ ستراتيجيٌّ لإقامة العلاقات مع مُختلَف الشعوب بِحسبِ ما هُو مُمكن، فَهُناكَ سَبعةٌ من المعصومين أُمَّهاتُهم عربيَّةٌ من العرب الأقحاح، وهُناكَ سبعةٌ من المعصومين أُمَّهاتُهم من الشعوب الأخرى، القضيَّةُ أمنيَّةٌ والقضيَّةُ فيها تَخطيطٌ ستراتيجيٌّ لقادم الأيَّام للبرنامج المهدويّ القادم.

الأئمَّةُ لم يَتزوَّجوا من عراقيَّة لا يُوجَدُ جِنسٌ أو عِرقٌ يُقالُ لَهُ العرقُ العراقي، وإلَّا فَإنَّ أصلَ الأئمَّة من العِراق، جَدُّهم الأعلىٰ إبراهيم وإبراهيم عِراقيٌّ، وزوجتهُ سارةُ عِراقيَّةٌ لأنَّها بِنتُ خالتِه، ويعقوب كذلكَ تَزوَّجَ من أقربائهِ في العِراق فَهُم عِراقيونَ في الأَصل..